أضواء على شجرة الخلد وجذورها التاريخية

د. وجدي رمضان*

ملخص البحث

تجدر الاشارة الى أن المصرى القديم اتخذ من شجرة "الأشد " "شجرة الاكسيا " وأوراقها اليانعة ,التى بلغ عددها 67ورقة رمزا للبعث الاوزير .ومن المعروف أن عبادة الربة ايزيس انتشرت فى 67مدينة أو مركز فى مصر السفلى ,طبقا لبردية البهنسا التى يرجع تاريخها الى القرن الثانى .

وقد ارتبطت شجرة "الأشد "برع سيد هليوبوليس و وقد اعتقد أهلها بانها التى تهب القوة والحياة الى الملك لذلك صور الملوك تحت ظلها وهم يتلقون سنى حكمهم المديدة من قبل الالهة "أرباب هليوبوليس ."ونرى ذلك بوضوح فى مناظر الاحتفال باعياد الحب -سد والتتويج ,فنجد على جدران صالة الأعمدة بالكرنك الملك سيتى الأول جالسا داخل هذه الشجرة "الأشد "وكذلك منظر لرمسيس الثانى فى معبد الرامسيوم حيث يسجل لهما اتوم سيد هليوبوليس سنى حكمهم المديدة تحت ظل شجرة الخلد السابقة .

كما ربط المصرى القديم بين هذه الشجرة)الاكسيا (وبين اوزيريس القاطن فى حمايتها يوم دفنه طبقا لاحتفالات اوزيريس فى شهر كياك فى معبد دندرة .

ويتناول البحث العلاقة بين اوزيريس المصرى وادونيس الفينيقى واليونانى الذىكان يحتفل به سنويا وسميت أعياده "الأدونيات ." .

اما عن عبادة تموز -كانت تكتب باللغة السامية دموزي أي بمعنى الابن الشرعي -فى صورة الشجرة في بلاد ما بين النهرين حيث عثر على إسطوانة من عصر أكد تجعل ميلاد تموز من الشجرة فقد ورد أن "ميرا "كانت أميرة لآشور قد خدعت أباها في وقت سكره فاتصل بها ، وحينما عاد إلى صوابه وعلم بجرمه أراد أن يقتل ابنته عند ذلك تدخلت الإلهة عشتارت وحولت الأميرة إلى شجرة المر .

يتبين لنا مما سبق فكرة التواصل الحضاري والفكري منذ أقدم العصور حتى وقتنا الحالي، فقد مثلت الشجرة رمزاً للحياة والبعث والنماء عند شعوب العالم القديم وحتى الآن .فقد قدسها المصريون القدماء والفنيقيون والعبرانيون والبابليون واليونانيون .

اثبتت الابحاث والحفائر الأثرية فى فلسطين والأردن أن التوراة "تاريخ دينى "وليس له علاقة بين احداث التوراة وأحداث التاريخ الحقيقى .ولم يستطع علماء الآثار الاسرائيليين ومنهم سياسيون وغيرهم من جنسيات أخرى ، تقديم أى دليل يؤكد التاريخ التوراتى !

* استاذ علم المصريات – ورئيس قسم الآثار أداب المنيا

وتجدر الاشارة الى ان التوراة ذاتها تعترف بان بنى اسرائيل قوم طارئون على فلسطين، عندما حلوا بها ، كان يسكن بها أقوام آخرون .... " :فسكن بنو اسرائيل فى وسط الكنعانيين والحثيين والاموريين والحويين واليبوسيين ، واتخذوا لانفسهم نساء ، وأعطوا بناتهم لبنيهم وعبدوا آلهتهم) "سفر القضاة (6- 5 :3

وإذا كان ادعاء اليهود الانتساب الى رسل الله الكرام مسوغا لدخولهم فلسطين وتملكهم إياها ، فإن التوراة تؤكد ان فلسطين لم تكن وطنا ثابتا لهؤلاء الانبياء و وانما كانوا وافدين عليها مثل حضرة سيدنا ابراهيم وسيدنا اسحق وسيدنا يعقوب عليهم السلام)التكوين ، 34 : 21، 4 : 23، 10 – 8 : 25، (1 : 37

وتحكى التوراة ايضا قصة موت سيدنا يعقوب عليه السلام ".وأوصاهم)أى يعقوب (وقال لهم :أنا أنضم الى قومى .إدفنونى عند آبائى فى المغارة التى فى حقل عفرون الحثى .فى المغارة التى فى حقل المكفيلة التى امام ممرا فى أرض كنعان التى اشتراها ابراهيم مع الحقل من عفرون الحثى) " ...التكوين . (33- 29 : 49

وادعى اليهود انهم كانوا موجودين فى زمن سيدنا ابراهيم ورافقوه فى هجرته من العراق الى ارض كنعان .وهذا يخالف التاريخ الزمنى المعروف فلم يظهر اليهود إلا بعد مجيء حضرة سيدنا موسى عليه السلام فهم الذين كفروا بدعوته فحق عليهم العقاب والتيه والشتات فى صحراء سيناء ، أى بعد عهد سيدنا يعقوب باكثر من 600 عام .ومن المعروف ان يهود السبى البابلى فى زمن نبوخذ نصر قد جاء بعد سيدنا ابراهيم باكثر من 1300عام .

ولقد اجمع المؤرخون بما فيهم المنصفون من اليهود على أن القدس عربية أنشأها اليبوسيون العرب قبل مجيء الكنعانيين اليها

كما اسفرت نتائج الحفائر أن الاسرائيليين كانوا غرباء فى أرض فلسطين ، واستمر وجودهم قلقا ومحدودا زمنا قصيرا فى القدس .إذا كان منهم من استمر مقيما خلال العصر الرومانى والعصر الاسلامى فهذا لا يعنى انهم اصحاب هذه الارض .فقد سبقت الاشارة الى مجيئهم على ارض فلسطين وكان اليبوسيون والكنعانيون مقيمون بها لذلك اتجه أكثر العلماء الى الفصل بين التوراة والتاريخ .

مقدمة

لاشك أن تعدد الآلهة في الحضارات الأسيوية القديمة في غرب القارة يرجع في الأصل إلى رب واحد اختلفت أسماؤه وذلك بسبب كثرة الأماكن التي عبد فيها،وقد عبدت المدن الفينيقية إلى جانب آلهتها الأصلية آلهة أجنبية من بلاد النهرين ومصر واليونان فنجد الإله أدونيس الذي كان يعد من آلهة الزراعة في فينيقا،وكان يحتفل بأعياده سنوياً وسميت أعياده(الادونيات)وترجع التسمية الى صيغة يونانية من الكلمة السامية(أدون)بمعنى السيد وهي تساوي لفظ بعل.وقد شاع اسم أدونيس فقط عند الاغريق

وقد أطلق عليه العبرانيون الإله(تموز)تشبيهاً له بإله بلاد ما بين النهرين المختص بالحب والإنبات،وقد ذكر دمسقوس في القرن الرابع الميلادي أن أدونيس ليس مصرياً ولا يونانياً بل فينيقياً.[1]

ولكننا نميل في الرأي إلى اعتباره أوزير المصري.وتؤكد ذلك الأسطورة التي تقول:"إنه حينما علمت عشتار بوفاة أدونيس ندبته... " .

وقد أوضح لنا المؤرخ الروماني بلوتارخ الصلة بين مدينة بيبلوس وأوزيريس فهناك صله قوية بين مصر وبيبلوس منذ اقدم العصور،وهناك تشابه في العقائد بين البلدين،ويؤكد ذلك الكشف عن خاتم أسطواني في مدينة صور عليه نقش مصري لآلهة بيبلوس ويرجع تاريخه الى النصف الثاني من الألف الأول ق.م .

وقد اتخذت عشتار هيئة ايزيس – حتحور جالسة وقد زينت رأسها بقرون والى جانبها الإله أدونيس وكان يلقب (حاي تاو) أي (المتقمص صورة الصنوبر) وتتفق قصته مع قصة أوزيريس في إنطواء جسم الشجرة على أوزيريس كما إنطوت على أدونيس بإعتبارة روح الإنبات والنباتات والأشجار والبعث والخير والرخاء.وتشير اسطورة ايزيس واوزيريس الى أن الربة ايزيس وصلت الى شاطىء لبنان بحثا عن زوجها " الذى قتل على يد رب الشر"ست"،فدخلت على الملكة عشتروت " عشتار" التى أكرمت وفادتها واتخذتها نديمة لها.وكانت ايزيس كلما أقبل المساء تحول نفسها بقوتها السحرية الى نسر،فتحلق فى السماء وتحوم حول الشجرة تناجى روح زوجها ثم حدثت المعجزة وحملت من روح زوجها اوزيريس (شكل ١، ٢، ٣) ولم يمسسها بشر !!!فحملت الطفل حورس فى أحشائها وعادت به الى أرض مصر حيث أخفته فى احراش الدلتا الى أن اشتد عوده وحارب الشر وخلص البشرية من شرور ست فأطلق المصريون عليه اسم الاله المخلص.وتستمر القصة فى عودة ايزيس مرة أخرى الى الملكة عشتروت فى لبنان طلبا لجذع الشجرة الذى يضم تابوت زوجها فأهدته اليها

[1] د. عبدالحميد زايد، الشرق الخالد، القاهرة، ١٩٦٦، ص ٢٩٠ – ٢٩٢

فعادت به الى مصر .وربما يذكرنا المعنى السابق بنص جنائزى للملك بيبى الأول حيث شبه نفسه حينما احتواه تابوته المصنوع من الخشب بالاله (حاى – تاو)،ولما وصلت الى أرض مصر أخرجت الجثة من تابوتها ونفخت فيها من انفاسها،فردت اليها الحياة زوجها هى وابنها ثم صعد الى السماء ليعتلى العرش ويصير ملكا للعالم الآخر ورئيسا لمحكمة الموتى (شكل ٤– ٨) .ومن هنا ندرك الصلة الوثيقة بين بعث اوزيريس وإقامة العمود " جد " – فى المناظر الجنائزية فى المعابد والمقابر المصرية القديمة – الذى يرمز الى شجرة الصنوبر أو شجرة السرو سالفة الذكر .وجدير بالذكر أن المصرى القديم اتخذ من شجرة " الأشد" " شجرة الاكسيا " وأوراقها اليانعة،التى بلغ عددها ٦٧ ورقة رمزا للبعث الاوزيرى(شكل ٦).ومن المعروف أن عبادة الربة ايزيس انتشرت فى ٦٧ مدينة أو مركز فى مصر السفلى،طبقا لبردية البهنسا التى يرجع تاريخها الى القرن الثانى٢.

وقد ارتبطت شجرة " الأشد " برع سيد هليوبوليس و وقد اعتقد أهلها بانها التى تهب القوة والحياة الى الملك لذلك صور الملوك تحت ظلها وهم يتلقون سنى حكمهم المديدة من قبل الالهة " أرباب هليوبوليس "(شكل ٤).ونرى ذلك بوضوح فى مناظر الاحتفال باعياد الحب – سد والتتويج،فنجد على جدران صالة الأعمدة بالكرنك الملك سيتى الأول جالسا داخل هذه الشجرة " الأشد" وكذلك منظر لرمسيس الثانى فى معبد الرامسيوم حيث يسجل لهما اتوم سيد هليوبوليس سنى حكمهم المديدة تحت ظل شجرة الخلد السابقة٣.

وتؤكد نصوص معبد دندرة على أن أوراق هذه الشجرة المباركة تخرج من التلال المقدسة – لتحمى الملك أو الضريح نفسه – لأتوم فى هليوبوليس و" خاديت" فى

---

[2] د. مصطفى العبادى ، مصر من الاسكندر الى الفتح العربى ، ص ٤٧٢ ،

R.el Sayed, L 'Isd de la Butte de la tombe d'Osiris , dans The Realm of the Pharaohs , Essay in honor of Tohfa Handoussa , vol .I , Cahier no 37 , 2009 , p.230 , n. 16 ;

وهناك لوحة مؤرخة بالعام الرابع من حكم الملك رمسيس الرابع عثر عليها فى أبيدوس تشير الى امنيته فى حكم طويل مثل الملك " وسرماعت رع – ستب ان رع ،المعبود العظيم،فى سنته السابعة والستين " راجع :رمضان السيد،رموز من تاريخ مصر القديمة ومظاهر حضارتها ودحض ما قيل بشأنها من مزاعم وأباطيل ،مطبوعات المجلس الأعلى للآثار، القاهرة ، ٢٠٠٩ ،ص١٠٠ ،

Gauthgier, LR III, p. 49 (49 B)

[3] Schwaller de Lubicz, Les temples de Karnak,II ,pl. 72;Antelme dans D.Noblecourt, Ramses le Grand,1976,p.337;R.el Sayed,o.c.,p.233,n.11;Bonheme,BIFAO 78,1978,p.357,n.1; 365 -366.

دندرة٤، كما ارتبطت أشجار " إيم ،إشد،وباق "بنفس الفكرة الدينية من حيث احتفالات" الحب – سد والبعث والتجديد فى معابد العصر اليونانى الرومانى٥.

وقد أشار نص قصة الأخوين الى أهمية هذه الشجرة التى تمنح الخصب للانسان . وقدس شجرة الأكسيا أهل الأقليم ١٧ من أقاليم مصر العليا،أهل مدينة سايس حيث استخدمت زيوتها فى عملية التحنيط،فضلا عن إعتقاد المصريين فى أن عطرها يلعب دورا مهما ضد ست رمز الشر والأرواح الشريرة٦ من أجل هذا نراها مصورة فى المناظر الجنائزية٧،كما ارتبطت باللاله بتاح وبتاح- سكر- اوزير" بإعتباره أول ملك حكم مصر٨ وهكذا ربط المصرى القديم بين هذه الشجرة الاكسيا وبين اوزيريس القاطن فى حمايتها يوم دفنه طبقا لاحتفالات اوزيريس فى شهر كياك فى معبد دندرة٩ وكان يحتفل بهذا العيد فى أول شهر كياك = ١٠ ديسمبر وهو رابع اشهر التقويم المصرى حين تنحسر مياه الفيضان فتعود الخضرة لتملىء الأرض بعد موتها رمزا لبعث الحياة (شكل ١، ٢، ٣) كما ارتبط هذا الحدث بإقامه عمود " جد " فى المناظر الجنائزية فى معبد ابيدوس وفى مقابر الافراد فى طيبة الغربية١٠ .

وتحدثنا النصوص اليونانية عن قصة أدونيس ما كتبة بينازيس (في النصف الأول من القرن الخامس قبل الميلاد) فيقول كانت أمه على هيئة شجرة ولد هو منها،وعند ولادته أخذته (فينوس) وكلفت به (بروزربين) التي آثرت أن تستبقيه عندها،وقد رفضت أن ترده عند ذلك كان لا مفر من تدخل(جوبيتر) وقد اشتهرت الرواية بموت أدونيس (الذي صور على هيئة شاب قام بقتله خنزير وحشي كان يصيده،ولما كانت له صله وطيدة بالإله عشتارت من أجل ذلك تنزل هذه الآلهة إلى الجحيم لتنقذه من الموت)وتشير الاسطورة الى عودة ادونيس إلى الأرض ومن هنا كان يعد من آلهة الزراعة والنماء والخير.ومن هنا أصبح أدونيس من أهم الالهة الفينيقية،وكان يحتفل به سنويا وسميت أعياده " الأدونيات ".

اما عن عبادة تموز – كانت تكتب باللغة السامية دموزي أي بمعنى الابن الشرعي- فى صورة الشجرة في بلاد ما بين النهرين حيث عثر على

---

[4] Zeinab el Kordy, Presentation des feuilles des arbres Isd, Im et B q , dans ASAE 69 , 1983 , p. 272, n.4, 5 ; Chassinat , Dend.,VI,p. 47 ,12 ; et 48 , 1; id., BIFAO 3, 1903 , p. 145 ; Aufrere, L'Universe mineral dans la pensee egyptienne , I , p. 251 (G) (4).

[5] Zeinab el Kordy,Presentation des feuilles des arbres Isd,Im et B q,dans ASAE 69,1983,p.278.

[6] R.el Sayed,o.c.,p.232,n.42 id.,La Deesse Neith de Sais I,p.29,n 3;Oxofrd,Encyclopedia of Ancient Egypt , I , 539.

[7] Aufrere, L univers mineral dans la pensee egyptienne I, p. 251 (g) (4)

[8] Vernus , Athribis , p. 294 (doc 259) .

[9] Leclant, o.c, p. 277 .

[10] Ibid., p. 278 ; R. el sayed , o.c., p. 234 , n. 4

إسطوانة من عصر أكد تجعل ميلاد تموز من الشجرة فقد ورد أن " ميرا " كانت أميرة لآشور قد خدعت أباها في وقت سكره فاتصل بها،وحينما عاد إلى صوابه وعلم بجرمه أراد أن يقتل ابنته عند ذلك تدخلت الإلهة عشتارت وحولت الأميرة إلى شجرة المر.
وبعد مضي تسعة أشهر ولد من الشجرة أدونيس لذلك يلاحظ أنه يوجد على إسطوانة تموز وتتلقاه عشتارت من الشجرة،ولكن يحاول والد ميرا أن يقضي على الشجرة التي تتقمصها " ميرا "[11]
وقد جاء عن بلوتارخ أن الناس في بيبلوس كانوا في أيامه يقدسون عموداً من الخشب يقام في المعبد، وقد قدست الأشجار والنباتات في فينيقية وفي قرطاج(مدينة صور)على أنها مساكن للآلهة وكانت هذه الأشجار من لوازم المعابد.وفي مصر القديمة نجد أن بعض الأشجار قد قدست فنرى الآلهة نوت تخرج من الشجرة وتسكب من يديها الماء الطاهر ولا زال بعض أهالي القرى في مصر الحديثة يتبركون ببعض الأشجار ولا سيما شجرة الجميز(الرمز المقدس للآلهة حتحور)ويربطون بها بعض قطع من ثيابهم تبركاً بها، ربما توارثوا مثل هذه العقائد من الأسلاف .
وجاء ذكر الآلة دموزي عند السومريين حيث كان يحتفل في معابدهم التي أطلق عليها زقورة(هيكل فوق سطح عال)وتعنى القمة المرتفعة أو المدببة في أعياد رأس السنة الزراعية.وكان دموزي رب الهضبة،الذي يظل حبيساً في العالم الآخر خلال فصل الجفاف، فتأسى عليه زوجته أو أمه ويشاركها الناس أما بالعويل والرثاء والدعاء قبيل بداية كل راس سنة جديدة وتستمر هذه الطقوس عدة أيام يعتقدون أن دموزي قد تخلص بعدها من عالم الفناء وبعث من جديد وهكذا وصف دموزي باعتباره خالق بذرة الكباشي[12] ورب الخصب وكذلك زوج الربة عشتار(إيزيس أو حتحور عند قدماء المصريين) ولا شك أن صدى أسطورة أوزيريس
وإيزيس قد انتقلت – الى حضارات الشرق الادنى القديم – مع بعض التبديل والإضافة التي تتناسب مع ذوق وروح العصر السومري وكذلك أساطير العراق القديم
كما قدس السومريون النخلة لأهميتها الاقتصادية ولدورها فى ضمان استمرار حياة المستوطنين السومريون الأوائل .ويؤكد د. احمد سوسه فى كتابه عن تاريخ وحضارة بلاد الرافدين قدم شجرة النخيل فى هذه المنطقة وجود العلامة المسمارية التي يكتب فيها النخل قد جاءت فى كتابات عصر فجر السلالات (٣٠٠٠ – ٢٤٠٠ق.م)[13]

---

[11] د. زايد ، الشرق الخالد،ص ٢٩٣ ، G. Contrau , Revue d' Assyriotlogie, 1942 , p. 44 .

[12] د. عبدالعزيز صالح،مصر والشرق الادنى القديم،القاهرة، ١٩٧٩،ص ٣٩٢، نائل حنون ،عقائد ما بعد الموت فى حضارة بلاد الرافدين القديمة ، بغداد ، ١٩٨٦ ، ٥٦ – ٦٠ .

[13] د. محمد سوسه ، تاريخ وحضارة بلاد الرافدين ج ١ ، بغداد و ١٩٨٢ ، ص ٤٤٧ ، شكل ٩٠ ، ستيفانى دالى ، أساطير من بلاد ما بين النهرين ، بيروت ، ١٩٩٧ ،ص ٣٧٢، ٣٧٦ .

وهناك نقش على ختم اسطواني يرجع للعصر السومرى يصور رجل جالسا وفوق رأسه تاج ذو قرنيين وتجلس أمامه امرأة وبينهما نرى نخلة ويهمان بقطف ثمارها اليانعة،وخلفهما نجد حية كبيرة كرمز للحماية .ولكن د. احمد سوسه قد فسر المنظر الى انه يصور الثمر المحرم الذى أكل منه سيدنا آدم عايه السلام تلك القصة التى ورد ذكرها فى التوراة (تكوين ٢: ١٥ -١٧).والسؤال الآن هل ثمر النحيل من المحرمات التى نهى المولى عز وجل عنها ؟ والسؤال الثانى من المعروف ان النقش يرجع للعصر السومرى علما بان التوراة كتبت فى القرن العاشر ق.م ؟ .

ويؤكد حقيقة الحية الحارسة فى هذا النقش ما نراه مصورا على إحدى لوحات الحدود، التى أطلق عليها " اودورو والمحفوظة حاليا بالمتحف البريطانى رقم ٩٠٨٥٨ " – تلك الحية التى يحيط برموز وشعارات الأرباب مثل شماش وعشتار والقمر وآنو وانليل وأيا، ونابو وننخرساك [١٤]

وقد قدس الفينقيون في بيبلوس عموداً صغيرا من الخشب (كان يسمى الاشيرا) كان يوضع في المعبد وخاص بالنذور،ربما يشير هنا إلى أدونيس الذي عبد على هيئة شجرة،ويذكرنا ذلك بطقوس الاحتفالات

الكبيرة التي كانت تقام في معبد ابيدوس الخاصة بالعمود الخشبي (جد) والمرتبطة دائماً ببعث أوزير وكذلك في مناظر المقابر مثل مقبرة (خروأف) في طيبة الغربية. كل هذه المعتقدات تؤكد عمق الصلة بين أوزيريس وادونيس.

وربما كانت من الأسباب التي دعت الناس في العصور القديمة إلى اتخاذ الجبال متعبداً ومقراً للآلهة كونها تأخذ شكلاً مخروطياً(مثل شجرة الصنوبر)مهذبة جوانبها قليلاً وسميت الواحد منها في اللغة السامية(بيتيل أو بيت إيل)ومعناها بيت الآلة،وأشهرها في فنيقية ما وجد في معبد بيبلوس.وقد ظهر على أحد العملة الرومانية وكان عبارة عن صخرة مخروطية الشكل بها تمثيل طفيف للرأس والذراعين وأحياناً على هيئة أقماع السكر.إذن فما هي العلاقة بين هذه الأشكال وانتشارها في أكثر من مكان وانتشارها في بلاد كنعان وعلى سبيل المثال في " جزر"(بين يافا والقدس)

وذكر بعض المؤرخين أنه لها أصلاً قديماً سماوياً.أما الشكل المخروطي فيرى البعض صلته بالجبال وشكلها العام والرأي الآخر يرى فيها تمثيلاً لعنصر التذكير.وعلى مدار التاريخ قدس الناس هذا الشكل المخروطي فقدس الساميون مسلة الملك (منشتوسو) المعروضة بمتحف اللوفر فهي تمثل هرماً مدبباً،كما قدس العراقيون الصخور التي كان توجد عليها مثلما حدث من عدم تهذيب الصخرة الخاصة بقوانين حمورابي

(عثر عليها في مدينة عيلام بإيران) في معبد الاله شمش إله الشمس وعثرت عليها بعثة فرنسية عام (١٩٠١ – ١٩٠٢ حالياً باللوفر)

---

[14] د . سوسه،المرجع السابق ، ص ٤٤٣ ،
Ward, The Seal cylinders of Western Asia , 1910 , p, 138 , fig . 388.

وتجدر الاشارة أن المصريين القدماء قدسوا الأشكال الهرمية خاصة المسلات والبن – بن (قمة المسلة المهذبة) بينما لم تهذب الاشكال الهرمية عند الشعوب الاخرى.

وهكذا نجد هذا العمود الرمزي سواء كان من الحجر أو الخشب منتشراً في بلاد ما بين النهرين وفي مصر القديمة وعند الإسرائيليين هو (المصاباه) وهي عبارة عن حجر، واحد أو أكثر،وأحياناً نجدها صخرة لم تهذب جوانبها وأخرى مستديرة أوفي هيئة المسلة المصرية وترتبط المصاباه بالعقيدة الفلكية البابلية،فهي تمنح الحياة .

وقدس الإسرائيليون الاشيرا ASHERA وهي العمود السارية،وهو رمز للالهة عشتار،كانت تصنع من جذع الشجرة وتوضع بجوار مذبح عشتار،الاشيرا ملازمة للشجرة،والعمود الخشبي الذي جرد من الأغصان والأوراق هو رمز لانتقال عشتار إلى عالم الموتى،ووجدت أسماء أشخاص انتسبوا إلى تلك الآلهة،فمثلاً نجد عبد أشرتوا أو عبد أشرتي ،ونتساءل الآن هل هناك علاقة بين هذا الجذع المخروطي من الشجرة وشجرة الميلاد " الكريسماس " فى وقتنا الحالى،وما تدل عليه من الحياة والبعث والتجديد بما تحوية من رمزية.

ويخبرنا كهنة مدينة (هليوبوليس) عن نظرية الخلق بأن أتوم إله هليوبوليس كان على رابية قديمة تشبة الشكل الهرمي (بن بن) وهناك أتى بالآلهة على الوجود على مثل هذه الصورة سئل ليبارك الاله قيام الهرم المماثل للرابية وتعدد الأهرامات وساد هذا المعتقد عند قدماء المصريين وتأثرت به بعد ذلك معظم الشعوب الأخرى المجاورة.

ولم يكتف المصريون بهذه الفكرة بل جعلوا قبور ملوكهم في الدولتين القديمة والوسطى مطابقة للرابية الأولى فليس الهرم إلا التشكيل الفني للرابية الأولى .

وقد ارتبطت فكرة هذا المرتفع في أذهان المصريين القدماء بأن من سيدفن فيه سيبعث في كيان جديد ز وفى بعض الاحيان تخرج من أشعة الشمس من هذا التل دلالة على التجدد والبعث الأوزيرى (شكل ٥).

تلك الرابية الأولى كان يصعد إليها الإنسان عن طريق درجات سلم.ربما تشير أغلب الظن إلى الرقي والتقرب من الاله الخالق،لذلك سعى إليها الإنسان وحاول تمثيلها من جيل إلى آخر ومن شعب إلى آخر رغم التفاوت في الفكر والعقيدة واللغة والجنس فنجد كل شعب يرمز إليها برمز وفكر معين و يدخل عليه الكثير من الأساطير والمعتقدات الباطلة.

وارتبط بمعبد أدونيس " معبد أفقا" (كان الناس يحجون اليه صيفا) معتقد آمن به البعض من أن مياه نهر أدونيس – يقع في جبال لبنان عند منابع نهر ابراهيم حالياً – ذات اللون الأحمر نتيجة طميه الحديدي اللون من كونه دم أدونيس وجاء فيما كتبه (لوسيان) عن هذه القصة بأن لون هذا النهر يتغير لونه كل سنة دون انقطاع واصطبغ بالدم حتى مصبه ويعتقد الناس أن أدونيس جرح في هذا الوقت من السنة وفي هذا المكان معبد الآلهة عشتار حيث يوجد حوض تلقى فيه القرابين فإذا ما غاصت كان ذلك علامة على

قبولها وإذا ما طافت كان هذا علامة على رفضها ونتذكر قصة هلاك البشرية في الديانة المصرية القديمة،بأن المصريين أرادوا أن يخدعوا الاله (سخمت) فألقوا أمامها مياه ملونه بلون أحمر،وقيل إنه نبيذ وقيل إنه لون بصخور حمراء من جبال أسوان وذلك لكي لا تنتقم منهم[١٥] .

أما عن أعياد أدونيس فقد انتشرت عند الفينقيين فى معبدهم َ قرب نهر أدونيس سالف الذكر وكان المعبد فوق رابية عالية وكان يحج إليه الناس من كل فج عميق وتتقدم المواكب نحو جبال لبنان،ويتوقف الناس في الطريق في الأماكن التي نزل فيها أدوينس للصيد، وتضع لأدونيس في تلك الأعياد تماثيل من الطين الذي يحرق أو من الشمع وتوضع في صفوف عند مدخل المعبد أو في شرفاته وتأتي النسوة ويرقصن حول هذه التماثيل ويغنين أغنيات حزينة وكذلك كان يوضع في بعض الأواني الفخارية بذور سريعة الإنبات تنبت وتذبل من حرارة الصيف وكان هذا رمزاً لتمثيل ما نزل بأدونيس وبعثه من جديد .

ويذكرنا ما سبق بطقوس اوزيريس المصري في معبد دندرة في شهر كياك حيث كان يقوم الكهنة سواء في المعبد أو في كل معابد أوزير في مصر يصنع تماثيل من خليط الرمل والشعير والقمح على هيئة أوزير ثم يسكب عليه الماء ويترك حتى ينبت وفي ذلك دلالة على بعثة من جديد وسجلت نصوص هذه الاحتفالات العظيمة في مقصورة أوزيريس فوق سطح معبد دندرة،حيث تتردد صيحة الفرح،ويودع تمثال أوزير في الغرفة العليا من حجرة المعبد تلك التي تمثل قبر أوزيريس حيث يحل محل سلفه منذ العام الماضي وكان اللاحق يجهز للدفن ثم يعرض أمام القبر.وهناك منظر فى كهف فيله يصور شجرة إشد ويخرج منها ثعبان و ويرمز هنا الى أوزير[١٦](شكل٧)

أما على أفرع الجميزة التي اعتبرت الشجرة التي تجسدت فيها حتحور ثم نوت بعد ذلك أو كان يوضع في مناظر أخرى داخل بقرة من الخشب تمثل البقرة الآلهة القديمة التي كانت نوت ثم حتحور بعد ذلك.وتبدو شعائر العصر المتأخر هذه وثيقة الصلة بالشعائر الجنائزية للبذرة وأوزيريس بصفته إله الخضرة والنماء والبعث.[١٧]

وانتقلت أعياد أدونيس الفينيقي[١٨] هذه إلى مصر أيام البطالمة،فذكر أن أهل الإسكندرية كانوا يحتفلون بجنازته في القرن الثاني ق. م في ثلاثة أيام كانت تعطل فيها مصالح الدولة،ويعتبر أول يوم عيداً حقيقياً حيث تقدم فيه القرابين واليوم الثاني حداد عليه واليوم الثالث الاحتفال ببعثة وفي حقيقة الأمر أن الادونيات ما هي إلا تمثيل للجنازة

---

[15] عبدالحميد زايد ،المرجع السابق، ص ٢٩٥، ج كونتو، الحضارة الفينيقية ، ترجمة د. محمد عبدالهادي شعيرة، ص ١٣٢.

[16] R. el sayed , o.c., p. 234 , n. 30 ; Erman , La Religion des Egyptiens , 446, fig 163 .

[17] عبدالحميد زايد، المرجع السابق، ص ٣٠٢ - ٣٠٣.

[18] إبراهيم نصحي، مصر في عصر البطالمة، الجزء الثاني، ص ١٣٢.

فقد أورد بعض المؤرخين إن امرأتين من أهالي الإسكندرية كانتا تسرعان إلى حيث مثوى الرب فوجدتا الرب مغطى بالحشائش ومن حوله الملائكة وهو فوق سريرة وقد غطى بأقمشة ووقفت بجوارة فينوس(كما نعته إيزيس ونفتيس) (شكل ١) وقد أقيمت احتفالات شبيهه بتلك في ملحمة البطل (أدابا) عند الكلدانيين إذ يرتدى أحد الشخصيات ملابس الحزن على موت (تموز) الذي يعتبر أدونيس عند الفينيقين .

وكما سبق فقد اهتم الملوك البطالمة بالمحافظة على إحياء الأعياد الدينية وكان يحج إليها السفراء والمتبارون من كافة أنحاء العالم الإغريقي ويعطينا ثيوفراتوس صورة حية لاحتفاء الإسكندرية بإقامة حفل أدونيس الذي أنشأه بطليموس الثاني إجلالاً لزوجة أرسينوس الثانية.[١٩]

وليس لدينا ما يشير إلى مناهضة البطالمة لأي مذهب من مذاهب الإغريق بل شجعوا المذاهب المختلفة بل شمل كذلك مذاهب الآلهة الإغريقية المعروفة بين إغريق آسيا مثل الاله الفينيقي أدونيس.فضلاً عن تمسكهم بعبادة إلهتهم القديمة مثل زيوس وأبولو وديونيوس وديميتر وغيرها .

ومن المعروف انه عبادة ديونيوس إنتشرت منذ عهد ملوك البطالمة الأول،فنجد الملك بطليموس الثالث قد صور هذا المعبود على نقوده.وأصبح ديونيوس الحارس للبطالمة منذ عهد بطليموس الرابع فيلوباتور الذي وجه عناية كبيرة إلى عبادة هذا الاله باعتباره كبير آلهة الدولة بما في ذلك إله اليهود.وكان لديونيوس أهمية ومنزلة خاصة في قلوب الناس وكان بطليموس الرابع فيلوباتور شديد الولع بالتقرب إلى ديانة المصريين إلى حد إن البعض اعتقد إنه من توج من البطالمة على نهج قدماء المصريين كما إنه ظهر في ثوب مصري قديم ملكي. وقد شيد مركباً ضخماً تباهى القصور في عظمتها ولم يحرص على ان يكون طراز البناء بوجه عام إغريقياً فحسب بل حرص على أن تحوى هيكلين أحدهما لديونيوس والآخر لأفروديت .

كما أطلق اسم ديونيوس على أسم قبيلة من قبيلتين من قبائل الإسكندرية وكانت تسمى ديونيسياس نسبة إلى الاله السابق والأخرى كانت تدعى بطوليميس.

وخدعت بطليموس الرابع شدة الشبة بين سابانزيوس وساباوث فاعتقد أن اليهود كانوا يعبدون ديونيوس تحت اسم وشكل آخرين،فحاول ان يفرض عبادة ديونيوس على يهود مصر،وعندما أبوا عليه ذلك جردهم من امتيازاتهم ولم يستردوها إلا بعد دفع غرامة مالية ولا شك إن اليهود في عهده قد لاقوا اضطهاداً كبيراً إلا إنهم استعادوا وضعهم امتيازاتهم في عهد بطليموس السادس فيلوموتور الذي سمح لهم ببناء معبداً يهودياً على نمط معبد بيت المقدس في ليونتوبوليس(تل اليهودية حالياً قرب شبين القناطر– قليوبية)

---

[19] – المرجع السابق، ص ١٣٦ – ١٣٧.

وحاول الكهنة في بداية عهد بطليموس الأول أن يكون محور الديانة الجديدة ثالوثا من سيرابيس وإيزيس وحربوكراتس ودار الخلاف حول سراپيس الاله الأكبر في الثالوث فقد تضاربت الآراء في اصله ولا جدال في إنه لتقريب شقة الخلاف الديني بين المصريين والإغريق،ولم يجدوا خيراً من أوزيريس فقد اعتبره المصريون إلها للموتى وحامياً لهم فضلاً عن خلوده وكان يمكن بذلك إقناع الإغريق بان إلههم ديونيسوس زاجريوس الذي قتلة التيتان ونفخ زيوس في صورته ما هو الا صورة مقابلة لاوزيريس.

ونظراً لاعتباره الشمس الغاربة كان يمثل ابيس المتوفى وأطلق عليه أوزير حابي وأطلق عليه الإغريق سورابيس أوسيرابيس.

أما في منف فكان بتاح يمثل في هيئته أو يتجسد في شخصية حابي أوابيس أي إله النيل الحي في صورة عجل وشيدت معابد السيرابيوم في منف والإسكندرية تكريماً لأوزير حابي أو سيرابيس.وكان العجل أبيس يصبح بوفاته أوزيريس أبيس (أو اوزير حابي) وكانت كل مصر تشترك في جنازته ويدوم الحداد في كل مكان سبعين يوما وهي الفترة التي تستغرقها عملية تحنيط الجثة وترسل كل المعابد كتاناً للفائف المومياء وتقوم بالعويل والبكاء بالقرب من الجثة في منف كاهنتان تمثلان إيزيس – ونفتيس وعند إتمام كل شئ كانت المومياء تحمل في موكب يقوده حتى معبد أنوبيس كاهنا يحمل قناعاً يمثل الإله توت وهناك كان يحل مكان هذا الكاهن كاهن آخر يمثل أنوبيس دليل الموتى ويقود المواكب بالطريق المرصوفة حتى السرابيوم حيث يتم دفنه في أحد الدهاليز تحت سطح الأرض.

يتبين لنا مما سبق فكرة التواصل الحضاري والفكري منذ أقدم العصور حتى وقتنا الحالي،فقد مثلت الشجرة رمزاً للحياة والبعث والنماء عند شعوب العالم القديم وحتى الأن.فقد قدسها المصريون القدماء والفنيقيون والعبرانيون والبابليون واليونانيون،وعلى الرغم من اختلاف مسمياتها أو الآلهة التي ارتبطت بتلك الشجرة فالمعنى واحد والمفهوم متقارب عند تلك الأمم.فالماء هو عنصر الحياة مصداقاً لقوله تعالى{ وجعلنا من الماء كل شئ حي } فقد صور قدماء المصريين الآلهة نوت أو حتحور تخرج يديها وتسكب الماء الطاهر من داخل الشجرة المقدسة رمز الخلود والسرمدية. هذا المعتقد أغلب الظن استمر حتى العصر المسيحي حيث اتخذ المسيحيون من تلك الشجرة " شجرة الكريسماس " رمزاً للتجديد والبعث والحياة المتجددة.تلك الشجرة التى عبر عنها المصريون القدماء بشجرة " إشد " الأكسيا " أو شجرة " إيم =النخل"أوشجرة الزيتون " باق "[٢٠]

[20] عن ظهور الملك داخل هذه الشجرة " اشد أو ايم " فى معبد ادفو ، راجع :
Zeinab el Kordy, Presentation des feuilles des arbres Isd, Im et B q , dans ASAE 69 , 1983 , p. 271 ; Chassinat , Edfou, IV , pl. 649 ; id., Edf. I, 569, 7-

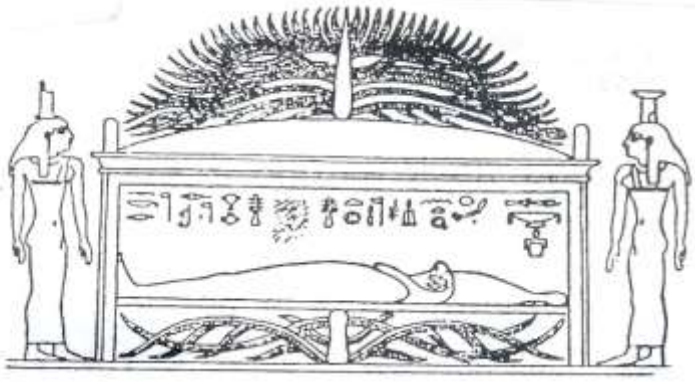

(شكل ١) منظر لتشريح أوزير – سكر في معبد دندرة و وقد أحاطت به نفتيس وإيزيس . وفوق التشريح شجرة " إثد " عن :

Ranke, La Civilisation Egyptienne, 345,fig. 139 (3) ; R. el – Sayed, o.c., p. 238 (doc .4)

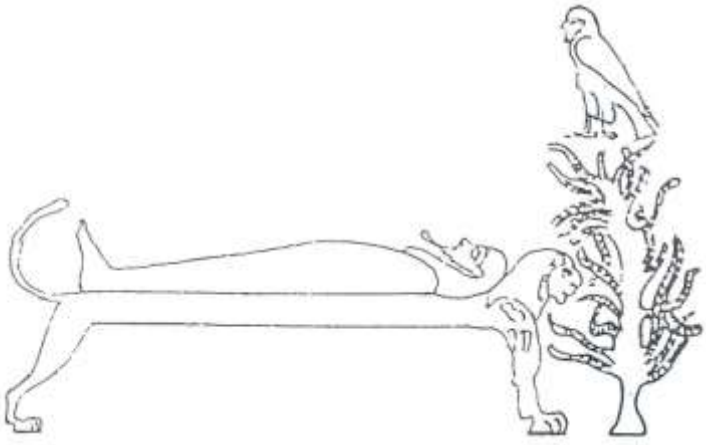

(شكل ٢) أوزير فوق مرقدة على هيئة الأسد – من مزار فيله ، ويحيط به شجرة إثد فوقها روح أوزير على هيئة طائر برأس آدمية عن :

Vandier, Manuel II, 581 (19) ; R. el – sayed , o.c., p. 239 (doc. 6 (B) .

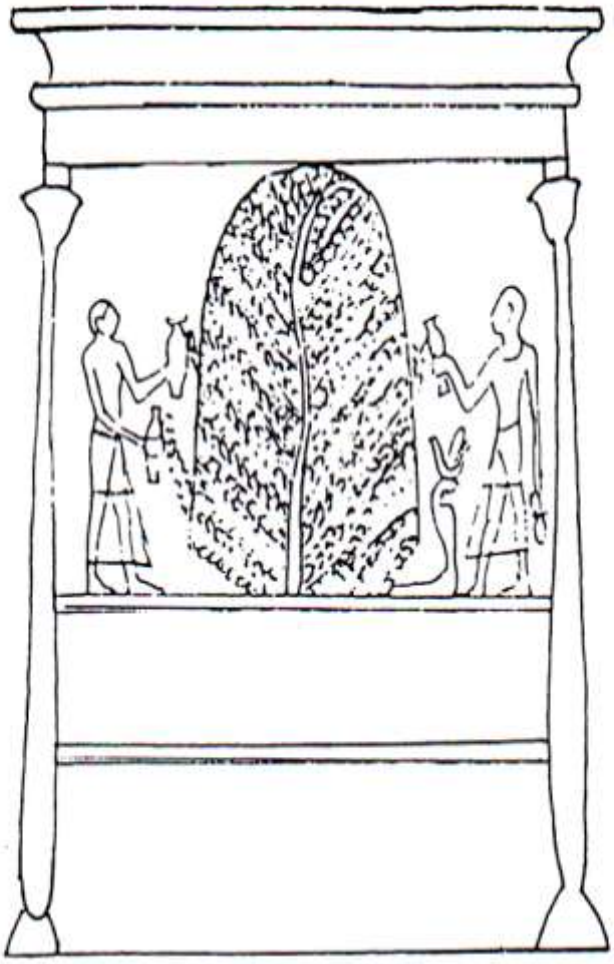

(شكل ٣) أوزير على هيئة ثعبان يخرج من شجرة إثل مزار – فيله ، ويقوم كاهنان بسكب الماء المقدس على الشجرة عن :

Vandier, Manuel II, 581 (17) ; R. el – sayed , o.c., p. 239 (doc. 6 (A) .

(شكل ٤) شجرة " ايم " المقدسة وبداخلها أوزير على هيئة ملكية – معبد دندرة

Zeinab el Kordy, Presentation des feuilles des arbres Isd, Im et B q , dans ASAE 69 , 1983 , p. 271, fig .1; Chassinah,Edfou XI, pl. 318 .

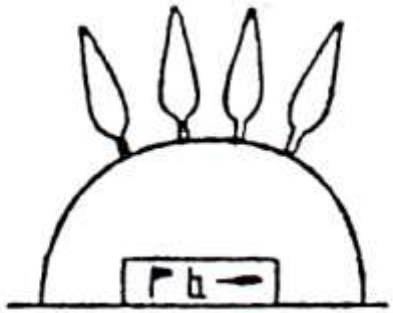

(شـــكل ٥) تابوت من العصر الصاوى – الأسرة الثلاثين – متحف مارسيليا، يصور تلا لأوزير تخرج منه أربع شجرات صغيرة عن :

R. el – sayed , o.c., p. 236 (doc.2) ; Vandier, o.c., II, 581, fig. 319 (14) .

(شكل ٦) لوحة من الحجر الجيرى – الأسرة الثلاثين – المتحف المصرى ، تصور ضريح أوزير وتخرج منه شجرة إثد المباركة عن :

Vandier, Manuel II, 580 -581, fig319 (16) ; R. el – sayed , o.c., p. 237 (doc.3).

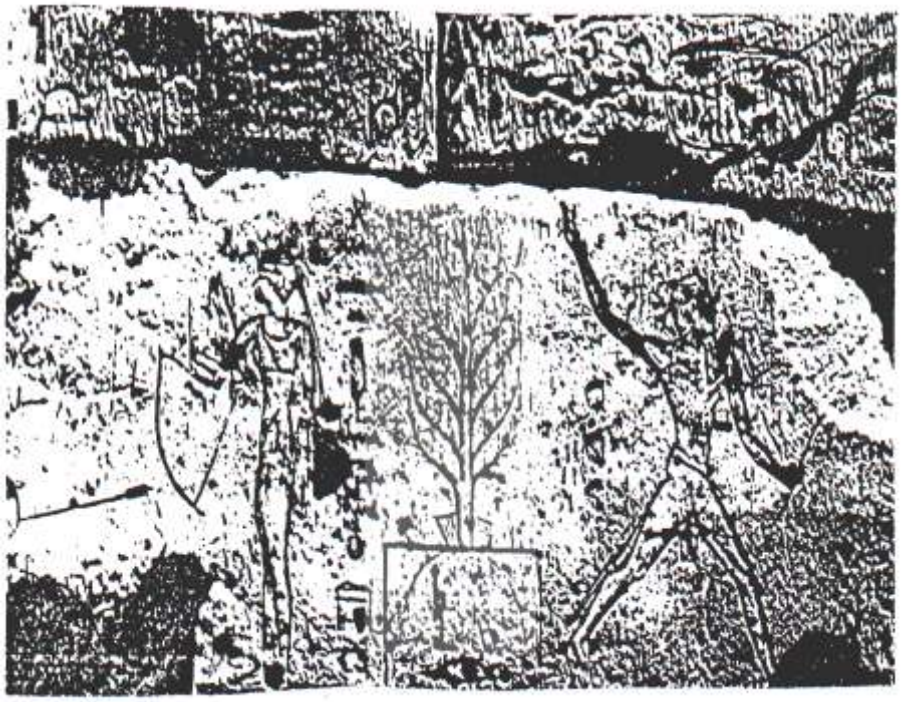

(شكل ٧) عتب من مبنى طهرقا – قرب البحيرة المقدسة بالكرنك . يصور ضريح أوزير وتنمو فوقه شجرة .

شنديت عن :

Schwaller de Lubicz, Les temples de Karnak , II , pl. 349; R. el Sayed ,o.c., p. 236(doc. 1) .

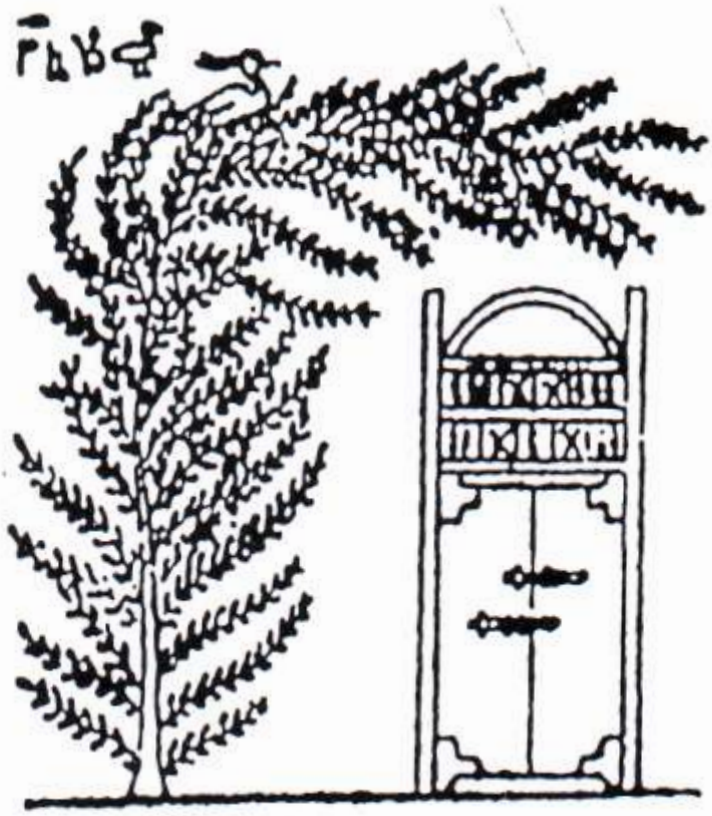

(شـــكل ٨) نقـــش من معبد كوم أمبو ، يصور ضريح أوزير داخل مقصورة ذات قمة نصف دائرية وتظلها شجرة الأثل، وفوق الشجرة طائر الفونكس

Ranke, La Civilisation Egyptienne, 345,fig. 139 (4) ; R. el – Sayed, o.c., p. 238 (doc .5)